

منهج المبرد في رواية الشعر وشرحه في كتاب الكامل

شيماء خيري فاهم^١

الملخص

لقد اعطى المبرد للشعر في كتابه مكاناً واضحاً لا سيما الرواية فوقف عند الاسناد ولكن بصورة سريعة. لكنه نبه على الزيادة والنقصان والاختلاف الذي يعتري الروايات الشعرية ويؤثر على معنى البيت.

وقد طالعت وفقته عند النصوص الشعرية لا سيما في تحليل الأبيات تحليلاً لغوياً يكشف فيها عن مهارته في هذا الجاتب ولم يقتصر في كتابه على التحليل اللغوي بل له وقفات تاريخية وبلاغية ونقدية تدل على الثقافة الموسوعية التي تحلى بها العلماء القدامى والمهدف التعليمي الذي يرمى اليه الكتاب لاسيما أنه تم تأليفه في زمن كثر فيه اللحن و ضعفت اللغة عند الناس وأصبحت علماً يُؤخذ وقبلها كأنت فطرة و سليقة.

المفردات الرئيسية: المبرد، رواية الشعر، المنهج، الكامل في اللغة و الأدب

المقدمة

للشعر مكانة واضحة في الثقافة العربية لما يحمل في ثناياه من تراث فكري وتاريخي يكشف العقلية العربية وشخصيتها في عصورها المختلفة.

لهذا حظي الشعر بعناية العلماء والباحثين القدماء فأفردوه في دواوين مفردة وفي مجاميع شعرية وضمنوه في مصنفاتهم الأدبية واللغوية، وقد نال الشعر عنايتهم الواضحة على محورين:

١. استاذة في فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة القادسية بالعراق

الأول: هو الرواية من خلال التنبيه على الاسناد والاشارة الى زيادة بيت أو أكثر او الاختلاف بين روايتين وترجيح واحدة على أخرى.
 والثاني: هو شرح البيت وتفسير غريبه وتوضيح معناه والاشارة الى ما في طياته من أخبار تاريخية والتنبيه على الجوانب البلاغية والنقدية.
 ويأتي المبرد^١ في مقدمة هؤلاء العلماء الذين حاولوا التزام هذا المنهج في تناولهم للشعر العربي.

فالمنهج في اللغة العربية هو المذهب والطريق (راجع: ابن منظور، ٢٠٠٣/ مادة فـهج) وقد جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً) [المائدة: ٤٨] فالمنهج يضم مذهب المبرد وطريقته في فهم النص والاتجاه العلمي الذي يهدف اليه حين يتصدى لشرح الشعر.

ومما لا ريب فيه أن كتاب الكامل يعد من اهم المصادر الثقافية في تراثنا الأدبي هذا ما أكده ابن خلدون في مقدمته اذ عدّه ثأني أركان البناء الأدبي عند العرب مع أدب الكاتب والبيان والتبين والامالي. (راجع: ابن خلدون/ ٥٥٣)
 ولقد شغل كتاب الكامل مكانة عالية عند القدماء؛ إذ أثار حركة أدبية واسعة تناولته بالشرح (راجع: المبرد، ٢٠٠٣/ مقدمة المحقق، ١٨).

ففي كتاب الكامل مادة خصبة في اللغة والشعر والأخبار الأدبية والمتأمل في هذه الأركان الثلاثة المتضمنة في الكتاب يرى أن الشعر هو القاسم المشترك بينها فالشاهد الشعري عماد المادة اللغوية، و روايته لكثير من المقطعات والقصائد الشعرية، كأنت عنصراً أساسياً في الأخبار الأدبية والتاريخية.
 وقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي الوصفي واستعنت بالاسلوب الاحصائي في موضوع الاسناد.

وهذا البحث يهدف الى الكشف عن طريقة المبرد في رواية البيت او المقطوعة أولاً و توضيح اتجاهه في شرح الأبيات ثانياً.

١. هو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر بن عمير بن حسان... المعروف بالمبرد امام نخاة البصرة في عصره، ينظر في ذلك معجم الادباء: ٤٨٠-٤٨٦، وفيات الاعيان: ٤/ ١٢٩-١٣٠، وبغية الوعاة: ١/ ٢٢٢-٢٢٣.

منهج المبرد في رواية الأشعار

لقد أخذت رواية الأشعار في كتاب الكامل مكاناً واضحاً لأنها العنصر الأول ومنطلقاً لبقية العناصر.

فالمبرد كان يروي عن سابقه (راجع: نفس المصدر/٨-١١)؛ لأنه ورث صنيعهم على اختلاف آراء هذا الصنيع وتعددت رواياته نتيجة لاختلاف مصادر العلماء السابقين ومذاهبهم، فكان ذلك مدعاة للتباين والاختلاف في الرواية زيادة ونقصاناً وتغاييراً في الالفاظ والمعاني.

وقد اتضح من استقراء كتاب الكامل أن المبرد لم يسند أكثر مروياته الشعرية هذا ما أثبتته الجدول الاحصائي المبين أدناه:

نوع الخبر الشعري	عدد المرويات المسندة	عدد المرويات غير المسندة
لغوي	٧٢	٦١٥
شعري	٨٨	٤٢٨
تاريخي	١٧٣	١٩٤
المجموع	٣٣٣	١٢٣٧

ويرجع ذلك الى أن كتاب الكامل لم يكن كتاباً اخبارياً أو قصصياً بقدر ما كان كتاباً يُعنى باللغة ومسائلها وأسرارها هذا أولاً. وثانياً أن اصحاب المدونة النحوية لم يهتموا كثيراً بالاسناد ولا يخفى من أن المبرد كان إمام النحاة.

وثالثاً أن أكثر من نصف مرويات الكامل كانت من الشعر المحدث وهو شعر قريب من عصر المؤلف والاسناد يكون في الشعر القلبي لا المحدث.

وعلى الرغم من قلة الاسناد في كتاب الكامل الا أننا نرى بين الحين والآخر استعماله لالفاظ التحمل والاسناد التي استقاها علماء اللغة والرواية من علماء الحديث (راجع: ابن

١. ينظر: الايس والجليس: ١/ ١٦١، نقلاً عن مقدمة المحقق، ص: ١٧، ولعل هذا يرجع الى صفة شخصيه خاصة بالمبرد أنه يروي بلا اسانيد هذا ما ألمح اليه نفظويه اذ يقول ((ما رأيت احفظ للاخبار بغير اسانيد من المبرد)) معجم الادباء: ٥/ ٤٨٠ وينظر: بغية الوعاة: ١/ ٢٢٣.

الصلاح، ١٩٨٩/٣١٦-٣٦١) فأكثر الروايات المسندة قد تحملها المبرد سماعاً من لفظ شيوخه، وهذا يتضح من استعماله لالفاظ مثل أنشد وأنشدنا وأنشدني وحدثني وحدثنا (راجع: المبرد، ٢٠٠٣/١: ٤٤، ٤٠، ١٣١، ١٠٧، ٢٧٣، ١٠٤، ٩٣، ٤١، ١٩، ٩، ٦: ٢، ٤٧٥، ٢٩٨، ٢١٤، ٢٠٤، ١٩٣، ١٦٢، ١٥٧، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥، ٩١) والسماع هو ارفع طرق التحمل (ابن الصلاح، المصدر نفسه / ٣١٦) وعلى قلة وروده عند المبرد فهو يدل على حرصه على ضبط الشعر المروي في كتابه.

سمات رواية الشعر عند المبرد:

إذا نظرنا الى سمات منهج المبرد في رواية الابيات نجده يعتمد على رواية معينة يجعلها مدار حديثه ولكن هذا لا يمنعه من ذكر الروايات الأخرى الواردة إن وجدت. وهو في أثناء ذلك يشرح تلك الروايات ويضعها جنباً الى جنب من الرواية المختارة.

أ- الزيادة:

فأحياناً ينص على زيادة بيت أو أكثر على النص الشعري المروي من روايته الشخصية كما نجد في روايته لابييات ابن قيس الرقيات في معاتبته المهلب بن ابي صفرة (الرقيات، ١٨٧-١٨٨):

كُلُّ جَارٍ مُقَارِقٌ لَا مَحَالَةَ	أَبْلَغًا جَارِيَّ الْمَهْلَبِ عَنِّي
لَتَنْبِيذِ رَحْلِهِنَّ مَقَالَهُ	أَنَّ جَارَاتِكَ اللَّوَاتِي بَتَكْرِيَتَ
بِحِبَالٍ لِمَا ذَمَّنَ حِبَالَهُ	لَوْ تَعَلَّقْنَ مِنْ زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو
يَحْمَدُ النَّاسُ قَوْلَهُ وَفَعَالَهُ	عَتَكِيَّ كَأَنَّهُ ضَوْءٌ بِدْرِ
فِي يَزِيدِ خِيَانَةً وَمِغَالَهُ	وَلَقَدْ غَالِي يَزِيدَ وَكَأَنَّتَ

قال ابو الحسن- وزاد عن ابي العباس هذا البيت:

غلبت أمه أباه عليه فهو كالكابلي أشبه حاله

قال ابو العباس: «أنت أم يزيد من سبي كأبل» (المبرد، المصدر نفسه / ١١٨: ٢-

وأحياناً ينصُّ على زيادة أبيات يحددها من رواية بعينها على الرغم من انفرادها على نحو ما نجد في قوله: «انشدني رجل من اصحابنا من بني سعد، قال أنشدني أعرابي في قصيدة ذي الرمة» (١٩٧٢/١: ٥٥٩-٥٦١):

ألا يا أسلمى يا دار مَيَّ على البلى ولا زالَ مُنْهلاً بجرعائكِ القطرُ
ببيتين لم تأتِ بهما الرواة وهما:

رأيتُ غراباً ساقطاً فوق قضبةٍ من القضبِ لم يُنبتْ لها ورقٌ نَضْرُ
فقلتُ غرابٌ لا غرابٍ قضبةٌ لقضبِ النَّوى، هذي العيافةُ والزَّجرُ))

(المبرد، المصدر نفسه / ١٤٦: ١-١٤٧)

وأنَّ ذكره لهذه الزيادات الشعرية على الروايات الاصلية يدلُّ على سعة خزينته الشعري المحفوظ وحرصه العلمي على ذكر ما لم يرد ذكره عند غيره.

ب- الاختلاف:

ويشير المبرد أحياناً الى الاختلاف في رواية الفاظ الشعر وقد تكون اشارته مختصرة عابرة كما في قوله: «قال حاتم الطائي (٢١٢):

وقدَ علمَ الأَوقامُ لو أنَّ حاتمًا أرادَ ثراءَ المالِ أمسى له وفُرُّ

ويروى كان له وفُرُّ» (المبرد، المصدر نفسه / ١: ٥٤).

وقد يكون الاختلاف في رواية بيت كامل كما نجد في روايته لبيت ليلى الاخيلية (٤٢).

فلا يُبْعِدُنكَ اللهُ يا توبَ أتما لقاءَ المنايا دارِعاً مثلَ حاسِرٍ

ويُروى:

فلا يُبْعِدُنكَ اللهُ يا توبَ هالكاً أأخا الحربِ أنَّ دارتْ عليه الدوائر

فكلُّ جديديٍّ أو شبابٍ الى بلى وكلُّ أمرئٍ يوماً الى الله صائرُ))

(المبرد، المصدر نفسه / ٢: ٣٢٨)

ج- نقد الرواية:

أنَّ نقد الرواية عند المبرد يتخذ اسلوب المقارنة والتمييز بين الروايتين وهو يعتمد في ذلك على معايير يشتملها لترجيح رواية على أخرى... منها معيار الصحة.

يقول المبرد في بيت مالك بن الربيع المازني (حمودي القيسي، ١٩٨٢/١: ٥١-٥٢):

«ففي الأرض عن دار المذلة مذهبٌ وكلُّ بلادٍ أوطنتُ كبلادي

كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء، والأصح (أوطنت) بفتح الهمزة وفتح الطاء» (راجع: المبرد، المصدر نفسه / ١: ٤٠١ و ١: ٤٨١، ٢٢٢).

... ومنها معيار السماع والقياس المطرد.

يقول في بيت جرير (١٩٦٩/٢: ٢٧٨):

«تَمْرُونَ الدِّيَارَ ولم تُعْجُوا كَلَامَكُمْ عَلِيًّا إِذَا حَرَامٌ

ورواية بعضهم له: (أَمْضُونَ الدِّيَارَ) فليس بشيء... والسماع الصحيح والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الشاذة» (المبرد، نفس المصدر / ١: ٦١-٦٢).

... ومنها معيار الاصابة.

كما في بيت ابي الطمحنان القيني (نايف الدليمي، ١٩٨٨/١٦٣):

«وَأَيَّيَّ لَأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وما بسطت من جلدٍ أشعثٍ أغبراً

كذا وقعت الرواية، والصواب أغبر لأن قبله:

ولو عَلِمْتُ صَرْفَ الْبَيْعِ لَسَرَّهَا مَمَكَةٌ أَنْ تَبْتَاعَ حَمَضًا يَذْخِرُ»

(المبرد، نفس المصدر / ١: ٣٩٥).

... ومنها معيار الملاحظة.

كما في بيت عمران بن حطان (عباس، ١٩٨٢/١٨٢):

«فَأَصْبَحَتْ فِيهِمْ آمِنًا لَا كَمَعَشِرٍ أَتَوْنِي فَقَالُوا مِنْ رِبْعَةٍ أَوْ مُضْرٍ

أَمْ الْحَيُّ قَحْطَانُ؟ فَتَلَكُمُ سَفَاهَةٌ مِمَّا قَالَ رَوْحٌ لِي وَصَاحِبُهُ زَفْرٌ

الرواية على وجهين: أحدهما: أمن ربيعة أم مُضْر، أم الحيُّ قحطان؟ فالجواب نعم أو لا، لأن المعنى احد هذين عندك ومعنى الاول: أيهما عندك قحطان، لأن ربيعة احد مُضْر فأراد من أحد هذين أم الحي قحطان؟ أنه إذا قال أزيد عندك أم عمرو؟» (المبرد، نفس المصدر / ٢: ١٢٨-١٣٣).

... ومنها معيار الجودة.

كما في بيت الاعشى (١٩٥٠/٥٣):

«فَكَيْفَ أَنَا وَأَتَّحَالُ الْقَوَا فِي بَعْدِ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارَا

والرواية الجيدة. فكيف يكون أتحالي القواف بعد المشيب» (راجع: المبرد، نفس المصدر/ ١٠٥:١، ٣٥٦-١٠٦).

... منها معيار المعنى.

يتجلى الحس الدقيق- عند المبرد- حين يتتبع الروايات منيها على أثر تغيير رواية الكلمة في معنى الشطر، وفي المعنى الكلي للبيت لهذا فهو يبنه على ذلك ليستقيم المعنى فهو يقول في بيت الشاعر:

«لَوْ لَمْ يُفَارِقْنِي عَطِيَّةٌ لَمْ أَهْنُ وَلَمْ أُعْطِ أَعْدَائِي الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ

أحسن الإنشادين عندي (لم أهْنُ) بأخذه من وهن يهنُ، لأنّه إذا قال (لم أهْنُ) فهو من الهوان، ومن قال (لم أهْنُ) فأنّما هو من الضعف» (نفس المصدر/ ١٣٦، ٦٥، ١٠١).

على الرغم من ميل المبرد الى اللغة واشتقاقها إلا أنّه حرص على ضبط الشعر المروي في كتابه بوصفه قوام المادة العلمية في الكتاب فهو الشاهد اللغوي والنص الأدبي والعنصر المتمم للنسيج القصصي وهو المنبع الذي يدخل المبرد من خلاله الى الشروح والايضاحات اللغوية الى جانب اللفات البلاغية والنقدية.

منهج المبرد في تفسير الشعر

قبلولوج في صلب الموضوع لا بد أن نعرض بعض الامثلة من شرحه كي نحدد عناصر هذا المنهج، حتى لا نضيع في خضم مئات الشواهد التي استخرجناها من كتاب الكامل. ففي ابيات عبدة بن الطيب (١٩٧٣/٧٣):

لَمَّا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلًّا أَحْبَبِيَّةً وَفَارَ لِقَوْمٍ بِاللَّحْمِ الْمَرَاجِيلُ
وَرَدُّ وَأَشْقَرُ مَا يُؤْنِيهِ طَابِحُهُ مَا غَيَّرَ الْغَلِيُّ مِنْهُ فَهُوَ مَأْكُولُ
ثُمَّتَ قَمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَافَهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

يقول «المراجيل: أنما حده المراجل، ولكن لما كانت الكسرة لازمة أشبعها

للضرورة كما قال: *نفي الدرّاهم تنقاد الصياريف*

وقوله: (وردّ وأشقر ما يؤنيه طابحه) يقول ما تغير من اللحم قبل نضجه وقوله: (ما يؤنيه طابحه) يقول: ما يؤخره لأنّه لو أتاه لأنضجه لأنّ معنى اناه: بلغ به اناه، أي إدركه، قال الله عز وجل (إلى طعام غير ناظرين اناه) [الاحزاب ٥٣] وتقول أنى،

يأتي، آتى، إذا أدرك، وأنَّ يبين مثله وقوله عز وجل: (يطوفن بينها وبين حميم أن) [الرحمن: ٤٤] أي قد بلغ آناه وقوله: (ما غير الغلي منه فهو مأكول) يقول نحن أصحاب صيد وهذا من فعلهم، وقوله (مسومة) تكون على ضربين: أحدهما أن تكون مُعلمة، والثاني أن تكون قد أُسِمت في المرعى، وهي ههنا مُعلمة... وأما أخذ ما في هذه الايات من بيت امرئ القيس (١٩٧٩/١: ١٧٤)، فإنه جمع ما في هذه الايات في بيت واحد مع فضل التقدم:

نمَشُّ بأعرافِ الجيادِ أَكفْنَا إذا نحنُ قُمنا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ

وهو الذي لم يُدرك، ونمَش: نمسح، ويقال للمندبل المشوش)) (المبرد، نفس المصدر/ ١: ٤٢٥-٤٢٦).

لقد سلك المبرد في شرح الأبيات النهج الآتي:

- ١- ذكر الضرورة الشعرية في لفظة (مراجيل).
- ٢- استشهد بشرط يؤيد الضرورة.
- ٣- فسر الشطر الاول من البيت التأني.
- ٤- استشهد بأيتين من كتاب الله تعالى لتأكيد المعنى الذي حدده.
- ٥- فسر الشطر الثاني من البيت التأني.
- ٦- شرح معنى (مسومة) من البيت الثالث ذاكراً المعاني التي تحملها مرجحاً احد المعنيين لمناسبته للسياق.
- ٧- قارب النص بنص آخر (سابق) لأمرئ القيس وفضله على أبيات عبده بن الطيب لاجازه واختصاره المعنى.

وفي بيت الهذلي (السكري/ ١٢٦٤):

قد حال دونَ دريسيه مؤوِّبةٌ نَسَعُ لها بعضاهِ الأرضِ تهزيرُ

يقول: «الدريسان: ثوبان خلقان. (مؤوِّبةٌ) مُفَعَّلَةٌ من التأويب وهو سير النهار ولا تعريج فيه، قال ابو عبيدة: هو سير النهار، والإسَاد: سير الليل ولا تعريس فيه، وأنشد لسلامة بن جندل (١٩٦٨/٩٤):

يومان يومٌ مقاماتٍ وأنديّةٍ ويومٌ سيرٌ إلى الأعداءِ تأويبِ

وَأَتَمَّا يَعْنِي رِيحاً. وقوله نسع: أي شمال. والعضاه: شجر ضخام فبعض العرب تقول للواحدة: عضاهة وللجميع: عضاه. على وزن دجاجة ودجاج وبعضهم يقول عِضَةٌ فيقول في الجميع عِضوات. وعضهات» (المبرد، نفس المصدر / ٢: ٤٨).

اتبع المبرد الخطوات الآتية في شرح البيت:

- ١- ذكر تفسيراً للإفاز البيت.
 - ٢- ذكر الوزن الصر في (مؤوبة).
 - ٣- نقل عن أبي عبيدة معنى التأويب.
 - ٤- استشهد بيت سلامة ليؤكد المعنى الذي ذهب إليه.
 - ٥- نقل اقوال العرب في كلمة (عضاه) في جمعها وافرادها.
- من هذين المثالين وغيرهما كثير في كتاب الكامل، سنحاول أن نحدد الاتجاه العام للشرح والعناصر التي يتكون منها الشرح.

فالمبرد عالم لغوي لهذا كان للغة بفروعها المختلفة من نحو وصرف ودلالة مكانة واضحة في شرحه اذ جعلها لا تغيب عنه حتى وهو بصدد العناصر التفسيرية الأخر وهذا أمر طبيعي يمثل التيار الذي كان سائداً في عصره، عصر تقنين اللغة وتعقيدها لهذا عرف في عصره وبعد عصره بأنه نحوي ولغوي وأديب (ياقوت الحموي/١٩٩١/٥: ٤٨٠) بل كان «إماماً في النحو واللغة» (ابن خلكان، ١٩٩٨/٤: ١٣٠).

عناصر الشرح عند المبرد

أنَّ المبرد في شرحه للشعر سلك طريق الشراح والعلماء عندما اعتنى بتوضيح المعنى الذي أراده الشاعر معتمداً على عدد من العناصر يكمل بعضها بعضاً، ويمكن تحديدها بالآتي:

- اللغة وعلومها.
- التاريخ.
- البلاغة.
- النقد.

١. اللغة وعلومها:

كان المبرد اماماً في عصره وبعد عصره لما يمتلكه من مقدرة لغوية كبيرة اختص بها ظهرت في كثير من مصنفات اللغة^١، أُنْعِكست آثارها على شرح الشعر إذ اتخذ من شرح المعنى مدخلاً الى علوم اللغة بعناصرها المتعددة نظراً لما بين تحديد معاني الألفاظ وتحليلها من ترابط لغوي ويقوم الشرح اللغوي عنده على أركان منها:

أ- البنية الدلالية:

يعد اللغويون الكلمة المفردة من اهم الوحدات الدلالية التي يتكوّن منها البيت(مختار عمر، ٣١-٣٢/١٩٨٢) فهي دليل المعنى (ابن جنى، ١٩٩٠/١:٢١٦) وأنّ الاصل في الدلالة أنّ تستمد من الكلمة المفردة(راجع: نفس المصدر، ١:٨٠، ٢:٣٧١، ٣:٧٥).

لهذا عُني المبرد بالكلمة، فكان تفسيره للألفاظ الغريبة اول مراحل الشرح

اللغوي، ففي بيت رجل من بني سعد:

ومحتضر المنافع أريحيٌّ نبيل في معاوِزةٍ طوال

يقول: «أريحي: هو الذي يرتاح للمعروف أي يخف له ويقال أخذت فلاناً اريحية أي خفة وحركة لفعل المعروف والمعاوز الثياب التي يتبدّل فيها الرجل وهي دون الثياب التي يتجمل بها»(المبرد، نفس المصدر/١:٣٤، ٢٦، ٨٦، ٤١٤، ٣٦٥، ١٨٦، ١٤٨، ١١٠، ١٠٨، ٨٦، ٧٤، ٧٤، ٣:٢، ١١٦، ٨٩، ٤٢، ٢١، ١٣، ٦).

وفي أثناء شرحه لمعاني الألفاظ أشار الى ما يطلق عليه الترابط المعنوي والموضوعي إذ أنّه حين يشرع في شرح الالفاظ يذكر كل ما يتصل باللفظة من ترادف أو تضاد أو ما تحتمله من لهجات، ففي بيت ذي الرّمة(١٩٧٢/٢:١٠٤٢):

إذا ابن ابي موسى بلالٌ بلغته فقام بفأس بين وصليلٍ حازرٌ

يقول: «الوصل: المفصل بما عليه من اللحم يقال: قطع الله أوصاله ويقال وصلٌ وكسرٌ وجدلٌ في معنى واحد» (المبرد، نفس المصدر/١:١٣٤، ٢:٩٣، ٤٦١).

١. ذكر له في معجم الادباء جملة من المصنفات منها المقتضب في النحو والمدخل الى كتاب سيبويه، وكتاب الاشتقاق، وكتاب المقصور والمدود وكتاب المذكر والمؤنث، وشرح شواهد كتاب سيبويه، وكتاب الاعراب وغيرها، بنظر: معجم الادباء: ٥/٤٨٥ - ٤٨٦، وبغية الوعاة: ١/٢٢٣.

ويشير أحياناً إلى الألفاظ التي تلتقي حول موضوع واحد ويحددها كما في شرحه لبيت عوف القوافي:

بجرُّكُ عذبٌ ما أعقَّهُ ربُّكُ، والمخروم من لم يُسَقَّهُ

يقول: «ماءٌ قعاعٌ، وماءٌ حُرَّاقٌ، فالقعاع: الشديد الملوحة... والحراق: الذي يُحرق كل شيء بملوحته، والماء العذب يقال له التَّفَاح. وما دون ذلك شيئاً يقال له، المسوس... يقال: ماء عذبٌ، وماء فرات، وهو أعذب العذب ويقال ماءٌ ملح... واشد الماء ملوحةً الأجاج...» (نفس المصدر/١٦٤، ١٢٩، ٢: ٢٤٠، ٢٣٢، ٢٢٧، ١٥٦، ١٠٠، ٨٩، ٨٧، ١: ٢٠٧، ٩: ٢٠٧، ٩: ٢٠٧، ٩: ٢٠٧، ٩: ٢٠٧).

وفي شرحه للألفاظ يتجه المبرد أحياناً إلى توضيح صفات اللفظ ففي بيت الشاعر:

وتشربُهُ مَحْضاً وتسقي عيالها سَجَاجاً كأقرب الثعالب أورقا

يقول: «الأورق: لون بين الخضرة والسواد، يقال جملٌ أورقٌ بين الورقة وهو الأمُّ ألوان الأبل عند العرب وأطيبها حمماً» (نفس المصدر/٢: ١١٥ - ١١٥، ٣٥: ١، ١١٦، ٤٦، ١٥٩، ٢: ١٢، ١٠١، ١٦٠).

وهذه الطريقة في شرح اللفظة المفردة تقترب كثيراً من النظرية التحليلية للمعنى عند اللغويين المعاصرين التي تحاول جمع الملامح التي تشكل في تكاملها محتوى الكلمة ومعناها إذ أن المعنى يتكون في هذه الحال من مجموعة من العناصر المتماسكة على نحو تلازمي (ابوشوارب، ٢٠٠٣/١٣١).

وهو لا يقف عند حد شرح المعنى وذكر المرادف وبيان الخصائص، بل حاول أن يوضح المعاني الواردة والمعروفة للفظ التي يشرحها ففي بيت النمر بن تولب العكليّ (٣٣٣):

أعاذل أن يُصبح صدائي بقفرةٍ بعيداً نائي صاحبي وقريبي

يقول: «الصدى... هو ما يبقى من الميت في قبره، والصدى: الذكر من البوم... والصدى: حشوة الرأس،... والصدى: ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمُتسع من الأرض... والصدى مصدر الصدى وهو العطشان» (المبرد، نفس المصدر/ ١: ٣١، ٣١١، ٣٠٩، ٣٩٠، ١٥٥، ٢: ٢٠، ١١٦، ١٢٩، ١٣١).

وحرصه اللغوي دفعه الى الاشارة في شرحه الى اختلاف اللغات (اللهجات) العربية؛ فقد نسب بعض الالفاظ حين اختلفت في بنيتها او معناها الى قبائل معينة ووقف عندها يشرح يرضي ميله الى الدقة في شرح الفاظ النص الشعري؛ ففي بيت القتال الكلابي (١٩٦١/٥٤):

لا أَرْضِعُ الدَّهْرَ إِلَّا ثَدِيَّ واضحةً لواضح الخدِّ يحمي حوزة الجار
يقول: «لا أَرْضِعُ الدهر» فهذا على لُغته، لأنَّ قيساً تقول: رَضِعَ يَرْضَعُ واهل
الحجاز يقولون: رَضِعَ يَرْضَعُ» (المبرد، نفس المصدر/١: ٧٦-٧٧: ٢-٣، ٣٨٧، ٧٧).

ولم يفد المبرد الاشارة الى الاضداد اللغوية من مثل ما ذكره في تفسير كلمة
«شَرِيْتُ» في قول ابن مُفَرِّغ الحميري (١٩٨٢/٩٦):

شريتُ بُرداً، ولولا ما تَكُنَّفني من الحوادثِ ما فارَّقتهُ أبداً
قال: ((يكون (شريت: في معنى اشتريت وهو من الأضداد)) (المبرد، نفس
المصدر/١: ١٢٠، ٨٨، ١٥٦، ٤١٥).

أنَّ حرص المبرد على تحليل اللفظة دلاليًا يهدف الوصول الى فهم النص الشعري
وبيان غامضه واستجلاء دقائقه فمحاولته تكشف عن مدى ما يتمتع به من بعد نظر
ودقة فهم وقوة ادراك.

ب- البنية النحوية:

لقد أولى المبرد المسائل النحوية الواردة في الشعر جلَّ اهتمامه اذ تعرض من خلال
إعرايه لأبيات الشعر لأقوال النحويين ومدارسهم وهو حين يناقش ما يحتاج منها الى
مناقشة مدلياً بما يراه صحيحاً مع الحجة والدليل. وهذا يؤكد ثبات قدمه في هذا
الباب، فمن ذلك ما نجده في شرحه لقول جرير (٧٣٦: ٣):

فالشمس طالعةٌ ليست بكاسفةً تبكي عليك نجوم الليل والقمر
يقول: «نجوم الليل والقمر: ففيه أقاويل كلها جيد، فمنها أن تنصب (نجوم والقمر)
بقوله: (بكاسفه) يقول الشمس طالعة ليست بكاسفة نجوم الليل والقمر... ويجوز أن يكون
(نجوم الليل والقمر) أراد بهما الظرف يقول تبكي الشمس عليك مدة نجوم الليل والقمر،

كقولك: تبكي عليك الدهر والشهر... ويكون (تبكي عليك الدهر والشهر... ويكون (تبكي عليك نجوم الليل والقمر) على أن تكون الواو في معنى (مع) وإذا كانت كذلك فكان قبل الاسم الذي يليه أو بعده فعلٌ أنتصب لأنه في المعنى مفعول وصل الفعل إليه فنصبه ونظير ذلك: استوى الماء والخشبة لأنك لم ترد استوى الماء واستوت الخشبة، ولو اردت ذلك لم يكون إلا الرفع ولكن التقدير ساوى الماء الخشبة...»(المبرد، نفس المصدر/٢: ٤-٤٣، ٦٥، ٩٩، ١٠١، ١١٩، ١٣٤، ١٥٠، ١٧٤، ١٨٥، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٦٧، ٢٧٤، ٢٧٧، ٣٠٢، ٣٧٠، ٣٩٢، ٩: ٢، ٣٤، ٩٩، ١٢٩، ١٥٠، ١٨٩، ٢٠٥).

لقد كان المبرد وهو مصنف المدخل الى النحو والمذكر والمؤنث والمقرب في النحو والمقتضب وغيرهما من كتب النحو. يلح على الجائز النحوي في شرحه الأدبي، لذلك تراه يتوسع في توجيه العبارات والمفردات ويعرض ما تحتمله من وجوه الإعراب، مستعيناً بالاصول التي يُحدددها.

ج- البنية الصرفية:

عني المبرد بتصريف الكلمة واشتقاقها(نفس المصدر/١: ٤٥، ١٩٨، ٢: ١٦، ٣٣). وتحديد وزنها(١: ٧٥، ١٦٢، ١٨٣، ٢٤٣، ٢: ٣٤، ٦٨، ٢١٣) وتطرق الى مسائل الافراد والجمع وأثر ذلك على وزن الكلمة(١: ٥٩، ٨٦، ٩٩، ٢: ٧١)، الى جائز قضايا الاعلال(١: ٨٠، ٤٦٢) والابدال(١: ٨٩، ١٨٣، ٤٧١) والقلب(١: ١٥١، ١٨٦، ٧٢) والمنوع من الصرف(١: ٥، ٢: ٦٥-٦٦، ٨٩، ٢٣٠) وما الى ذلك من مسائل الصرف، ففي بيت الفرزدق (٣٩٠: ٢/١٩٨٣):

ولو كان حَيًّا مالِكٌ إذا أوقدا نارين يعلو سناهُما^١

يقول: «السنا: ضوء النار، وهو مقصور، قال الله عز وجل: (يكاد سنا برقه يذهبُ بالأبصار) [النور: ٤٣] والسنا من الشرف، ممدود، قال حسَّان بن ثابت (٦٣)

وأنتَ خيرُ عُثمَّانَ بنِ عمروٍ وأسناهُما إذا ذُكِرَ السَّناهُ

١. رواية الديوان: ولو كان حَيًّا مالِكٌ وابن مالِكٌ لقد اوقدا نارين عالٍ سناهُما

والبيكاء يمد ويقصر، فمن مَدَّ فأَتَمَّا جعله كسائر الأصوات، ولا يكون المصدر في معنى الصوت مضموم الأول إلا ممدوداً، لأنه يكون على فُعالٍ وقلمما يكون المصدر على فُعلٍ (...)) (المبرد، نفس المصدر/١:٢٠١).

فالمرد يتخذ من البيت الذي هو بصدد شرحه منفذاً لعرض النظائر معضداً شرحه بالشواهد والأدلة وهذا يؤيد قدرته اللغوية وسعة علمه ودرسته باللغة ومسالكها وقدرته على اظهار ما في المادة اللغوية من ثراء وعمق.

د- معاني الشعر:

اعطى المبرد لمعاني الشعر مكاناً في شرحه اذ عمد في احيان كثيرة الى نشر مضمون البيت، ولا يقف به الامر عند هذا الحد لا سيما اذا كان البيت يَحْتَمِلُ اكثر من معنى فإنه يدور معانيه على احتمالاتها المختلفة ففي بيت الأعشى (٢٢٥/١٩٥٠):

نَفَى الدَّمَّ عَنْ رَهْطِ الْمُحَلَّقِ حَفْنَةً كَجَابِيَةِ الشَّيْحِ الْعِرَاقِيِّ تَهْفِقُ^١

يقول: «كذا ينشده أهل البصرة، وتأويله عندهم أن العراقي إذا تَمَكَّنَ من الماء ملاً جَانَّبِيته لأنه

حضرى فلا يعرف مواقع الماء ولا محاله»

(المبرد، المصدر نفسه /١: ٤٣٦، ٤٢٥، ٤١٧، ١٧٧، ١٦٠، ١٥٧، ٩٨، ٩٢، ٥٨، ٤٧، ٤١، ٢٦، ٣٢ - ٤٥، ٥٢، ٤٤، ٢٤، ١٣، ٤٣٧، ٢٣١، ١٩٧، ٩٤، ٩٠، ٧٢، ٥٣).

وإن أهم ما يميز تحديد المعنى في شرح المبرد للبيت الشعري التفاتة الى تعدد المعنى في اطار اختلاف التفسير التأويلي لدلالة البيت الشعري ففي بيتي الاعشى (٧٥/١٩٥٠)

الاعشى (٧٥/١٩٥٠):

وقومك أن يضمَّنوا جارةً وكانوا بموضع أنضادها

فلن يطلبوا سرَّها للغنى ولن يُسَلِّمُوها لإزدهارها

يقول: «في هذا قولان: أحدهما: أنهم لا يطلبون إحترارها إليهم على رغم

أوليائها من اجل مالها، غضبا للجوار ولا يسلمونها إذا انقطع رجاؤهم من الثواب

١. ورواية الديوان: نفي الدم عن آل المحلق حَفْنَةً كجابية السح العراقي تهفق

والمكافأة والآحر: أنهم لا يرغبون في ذوات الاموال؛ أئما يرغبون في ذوات الاحساب؛ اختياراً للأولاد، وصيانة للأصهار، أن يطمع فيهم من لا حسب له» (المبرد، نفس المصدر/ ٢: ٢٦-٢٧، ١: ٤٨٦، ٢٧٣، ٩٨، ٦٤، ٥٥).

فهو يكتفي في شرحه بتقديم المعنى دون شرح لغوي او تفصيل؛ وأئما أكد على جوهر المعنى الذي يحمله البيت الشعري.

٢. التاريخ:

للمبرد في هذا الجانب لمسات واضحة فقد جتد ثقافته وخزينه التاريخي لاثارة ما تنطوي عليه الابيات من مناسبات واسماء واحداث بايجاز احياناً وتفصيل احياناً أحر لما لهذا الجانب من أهمية في حياة القوم العلمية والثقافية.

أ- مناسبات القصائد:

حرص المبرد على تحديد مناسبة الابيات المشروحة والظروف التي ساعدت على قول الشعر في أحيان كثيرة فأبيات عمارة بن عقيل التي أولها (٣٧/١٩٧٣):

دعاني أبو سعدٍ وأهدى نصيحةً إلى، ومما أن تَعَرَّ النَّصَائِحُ

يقدم لها المبرد بقوله: «وسبب هذا الشعر الذي نذكره أن رجلاً من بني تميم، يُكنى أبا سعد، كان منقطعاً إلى أبي نصر بن حميد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وكان ابو نصر والياً على العرب وكتب ابو سعد الى عمارة يأمره أن يضع يده في يد ابي نصر فقال عمارة... دعاني أبو سعد الخ» (المبرد، نفس المصدر/ ١: ١٦٢، ١/ ١٤٢، ١٣٢، ١٢٧، ٩٦، ٨٥، ٦٣-٦٤، ١٦٤، ١٦٢، ١٥٧، ١٤٣، ٢٩٤/٣).

ب- التعريف بالاعلام:

لم يتخذ التعريف بالشعراء الذين يروي اشعارهم (نفس المصدر/ ١: ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٧، ١٦٨، ١٩٦، ٢: ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢) مكاناً واسعاً في شرحه ولكنه حاول تحديد أسمائهم وألقابهم من ذلك قوله في سليمان بن قتة: «رجل من بني تميم بن مرة

بن كعب بن لوي، وكان منقطعاً الى بني هاشم» (نفس المصدر/١: ٢٠٣، ٦٢-٦٣، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٦، ١٠٢، ١٠٣، ٢٤٩، ٢: ١٢٦، ٢: ٧٨، ٩٧، ٣٠٨).
 ويعرف أحياناً بالاسماء الواردة في ثنايا الابيات ففي بيت ابي مخزوم:
 أنا بني هُشَلٍ لا ندَّعي لأبٍ عنه، ولا هو بالأبناءِ يشرينا
 يقول: «أنا بني هُشَلٍ يعني هُشَل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم» (نفس المصدر/١: ١١٩، ١: ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢: ٢٧٦).

ج- الاحداث التاريخية:

وكان للاحداث التاريخية التي تضمنتها الابيات وقفة من المبرد لتوضيحها ليساعد المتلقي على فهم النص المرتبط بهذه الاحداث ارتباطاً وثيقاً. ففي بيت عمارة بن عقيل (٣٧/١٩٧٣):

أو البرجمي حين أهداه حينه لِنارٍ عليها موقدانٌ وذابحُ

يقول: «البرجمي فهذا رجل من البراجم، وهم بنو مالك بن حنظلة وكان عمرو بن هند لما قتل بني دارم باوارة، وكان سبب ذلك أن أخاه أسعد بن المنذر- وكان مُسترضعاً في بني دارم، في حجر حاجب بن زُرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم. انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ فعبث كما يعبث الملوک، فرماه رجل من بني دارم بسهم فقتله... فغزاهم عمرو بن هند، فقتلهم يوم القصية ويوم أواره... ثم أقسم عمرو بن هند ليحرقن منهم مائة، فبذلك سمي محرقة فأخذ تسعة وتسعين رجلاً فقتلهم في النار ثم اراد أن يير قسمه بعجوز منهم لتكمل بما العدة، فلما أمر بما قالت العجوز: ألا فتى يفدي هذا العجوز بنفسه!... ومراً وافد للبراجم... فإشتم رائحة اللحم، فظن أن الملك يتخذ طعاماً فعرج إليه فأتي به إليه فقال له: من أنت؟ فقال: أبيت اللعن أنا وافد البراجم، فقال (أن الشقي وافد البراجم) ثم أمر به فقتل في النار...» (المبرد، نفس المصدر/١: ٢٢١، ٢٢١، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ١١٥، ١٦٤: ١٨٢، ١٨٥).

لم يعط المبرد للجانب التاريخي نصيب كافي في أثناء شرحه للأبيات؛ إذ نراه بين الحين والآخر يتعرض لما يتعلق بالشعراء والشعر، من اخبار وحوادث وأنساب وإيام،

وعلى الرغم مما لهذه النواحي من أهمية بالغة فهذا لا يحسب على المبرد لأن كتابه لم يختص بشرح الشعر فقط. فيعطي لهذا الجانب مجاله الواسع وأتما كان شرح الشعر جزءاً منه لهذا شكل التاريخ اضاءات اثارته قسماً من النصوص الشعرية.

٣. البلاغة:

لم يقف المبرد عند العنصر البلاغي طويلاً في أثناء شرحه لكنه حاول الكشف عما تنطوي عليه الابيات من جمال لفظي او معنوي، وذلك لا يعد قصوراً من المبرد لأنه أكد منهجه في مقدمة كتابه اذ أكد أن اللغة واشتقاقها هي مدار عنايته لا التحليل الفني للنص الشعري.

لكن ما يلفت النظر في شروحه هو عنايته بالتشبيه، وبيان حدّه وانواعه اذ يقول: «اعلم أن التشبيه حدّاً؛ لأنّ الأشياء تشابه من وجوهٍ وتباين من وجوهٍ، فأتما يُنظرُ إلى التشبيه من اين وقع، فإذا شُبه الوجه بالشمس والقمر فأتما يراد الضياء والرّونق ولا يراد العظم والإحراق... والعرب تُشبه النساء ببيض النّعام، تريد نقاؤه ورقّة لونه، قال الراعي (الراعي النميري، ١٩٨٠/٨٣):

كأنّ بيض نعامٍ في ملاحفِها إذا احتلاهنّ ليل ومدّ»

(المبرد، نفس المصدر/٥٧:٢)

وفي انواع التشبيه يقول: «والعرب تُشبه على اربعة أضرب: فتشبيه مفرط وتشبيه مصيب، وتشبيه مُقارب وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو اخشن الكلام» (نفس المصدر/١٠٤:٢) ثم يذكر امثلة شعرية تؤيد هذه الأنواع (١١٦، ٢٠٥:٢، ١٥٤).

والتشبيه الجيد عنده هو «تشبيه شيءٍ في حالتين مختلفتين بشئيين مختلفين»

(٤٣:٢) ففي بيت امرئ القيس (١٩٧٩/١٤٧):

كان قلوب الطّير رطباً ويابساً لدى وكرها العُناّب والحشفُ البالي

يقول: «فهذا مفهوم المعنى، فأن اعترض معترض فقال: فهلاً فصلّ فقال: كأنّه رطباً العُناّب وكأنّه يابس الحشف قيل له: العربي الفطن اللّقن يرمي بالقوم مفهوماً،

ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيًّا» (المرد، نفس المصدر/٢:٤٣) فمعيار التشبيه الجيد عند المراد الفصاحة والفظنة والفهم..

وفي مواضع أخرى نراه يعجب ببعض التشبيهات؛ إذ ينعتها بأنها مليحة (نفس المصدر/٢:٥٤، ٩٣، ١١٦) ومحمودة (٢:٤٧) ومصيبة (١:٤٨٤، ٢:٤٥، ٤٦، ٥٠) وعجيبة (٢:٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٠، ٥٣). وأحياناً يكتفي بالإشارة إلى أنه تشبيه فقط (١:١٥، ٨٩، ١٣٠، ١٠٨، ٢٠٢، ٤٨٤، ٢:٥١، ٥٣).

فالمرد لم يكتف بالإشارة إلى التشبيهات التي تضمنتها الآيات بل فصل في حد التشبيه واقسامه ووقف عند عيار التشبيه الجيد إلى جانب أحكامه على التشبيهات وتفريقه بين التشبيه المليح والحمود والعجيب والجيد وهذا يدل على دربته على النصوص الشعرية وثقافته في هذا والهدف التعليمي الذي يرمي إليه. وفي موضع آخر نراه يتحدث عن الكناية مقسمها على ثلاثة أضرب: «أحدها: التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدي (١٥٧/١٩٩٨):

أُكْنِي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَمٍ

.... ويكون من الكناية- وذاك أحسنها- الرغبة عن اللفظ الخسيس المُفحش إلى ما يدل على معناه من غيره... والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم» (المرد، نفس المصدر/٢:١٤-١٣)، ففي بيت عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة (٢٤٧/١٩٦٦):

طالما عرّستم فاستقلّوا حآن من نجم الثريا طلوع

يقول: «كناية، وأتما يريد الثريا بنت علي بن عبيج الله بن الحارث بن أمية الأصغر» (المرد، نفس المصدر/١:٤٧٨).

وفي موضع آخر نجد يشير إلى الاستعارة في قول رجل من طيء:

لهم عجزٌ بالحننِ فالرملِ فاللوى وقد جاوزت حبيّ جديس رعالها

يقول: «العجز: مؤخر العسكر ههنا، وهو مستعار» (نفس المصدر/١:٨١، ١٠٨، ٢٠٢).

وفي مكان آخر نراه يتعرض للإيماء فيقول: «قد يقع الإيماء الى الشيء فيُعني عند ذوي الالباب عن كشفه كما قيل لمحمة دالة... ومن الإيماء قول الفرزدق (١٩٨٣/٢: ٣١٨):

ضربتُ عليكِ العنكبوتُ بنسجها وقضى عليك به الكتابُ المزلُّ
فتأويل هذا أن البيت جرير في العرب كالبيت الواهن فقال: وقضى عليك بالكتاب المزل يريد به قول الله تبارك وتعالى: (وَأَنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ) [العنكبوت: ٤١]» (المبرد، نفس المصدر/٢: ٥٦-٥٧).

إلى جانب ذلك أشار الى أطراف من دقائق علم المعاني مظهراً بذلك مواطن الجمال في تعبير الشاعر وأساليبه فعند شرحه لبيت عبد الله بن معاوية بن أبي طالب (١٩٧٦/٨٩-٩٠):

أ أنت أخي ما لم تكن لي حاجةً فأنّ عرضتُ أيقنتُ أنّ لا أخاليا
نجده يقول: «أ أنت أخي... تقرير وليس استفهام، ولكن معناه أتّي قد بلوتك تُظهرُ الإحشاء فإذا بدت الحاجة لم أرَ من احائك شيئاً» (المبرد، نفس المصدر/١: ١٩٦).
ولدى شاعر آخر هو عمران بن حطان (عباس، ١٩٨٢/١٨٢) يلفت نظر المبرد (اسلوب الحذف) وذلك في قوله:

وما منهما إلا يُسرُّ بنسبةٍ تُقرُّ بني منه وأنّ كان ذا نَفَرٍ
يقول: «وما فيهما إلا يُسرُّ معناه وما منهما واحدٌ، فحذف لعلم المخاطب قال الله جل اسمه: (وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) [النساء: ١٥٩] أي وأنّ احد...» (المبرد، نفس المصدر/٢: ١٣٢، ١: ١٣٣).

ويستوقفه الالتفات في بيتي الاعشى (١٩٥٠/٦٥):

تضيفته يوماً فقرب مجلسي وأصفدني على الزمّانة قائداً
وأمتعني على العشا بوليدة فأبتُ بخير منك ياهوذ حامداً
فيقول: «فأته كان يتحدث، ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المخاطبة. والعرب تترك مخاطبة الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد الى مخاطبة الغائب» (المبرد، نفس المصدر/٢: ٣٦).

أن قلة الشروح البلاغية في كتاب الكامل يرجع الى أن المبرد لم يجعلها جزءاً أصيلاً في كتابه يقصد اليه ويهدف له؛ إذ أنه اشار الى بعض القضايا البلاغية بتفصيل احياناً وباقتضاب احياناً آخر.

٤. النقد:

أشار المبرد الى بعض اللفات والاشارات التي تتصل بالنقد في غضون شرحه للأبيات الواردة في كتاب الكامل؛ فعند شرحه لقول ذي الرمة (١٩٧٢/١: ١١٥):

شَحَّتْ الْجُزَارَةُ مِثْلَ الْبَيْتِ سَائِرُهُ
 مِنَ الْمَسُوحِ خَدِبٌ شَقُوبٌ حَشْبُ
 تراه يتعرض لشيء من مشكلة السرقات الأدبية حين ذهب الى أن ذا الرمة أخذ هذا البيت من قول علقمة بن عبده (١٩٦٩/٦٣):

صَعْلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُؤْجُؤُهُ
 بَيْتٌ اطَافَتْ بِهِ خِرْقَاءٌ مَهْجُومٌ
 (المبرد، نفس المصدر/٢: ٤٥، ٥١، ١١٤، ١١٥، وج: ١: ٩١، ١٢١، ١٢٢).

وفي موضع آخر تناول مسألة التقديم والحدث إذ يقول: «وليس لتقديم العهد يُفضّل القائل، ولا لحدثانَّ عهد يُهتضم المصيب ولكن يُعطى كلُّ ما يستحق، ألا ترى كيف يفضل قول عمارة (١٩٧٣/٤٦) على قرب عهده:

تَبَحَّتْهُمُ سُخْطِي فَغَيْرَ بِحَنُكُم
 نَحِيلُهُ نَفْسَ كَانَ نَصْحًا ضَمِيرَهَا

.....

.....

فهذا كلام واضح وقول عذب.... ومما يُفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول ابو حية النميري [الذي اوله]:

رَمَتْنِي وَسَتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ

(المبرد، نفس المصدر/١: ٥٧ - ٥٨)

فهذا يوضح الفكر النقدي المحايد الذي يتمتع به المبرد؛ فهو لا يتعصب للقديم ولا يتحنى على المحدث، فالشعر هو الميزان في الحكم النقدي، ولم يفته أن يتعرض الى الموازنة بين الشعراء(نفس المصدر/١: ١٧١ - ١٧٢).

ونظر الى قضية اللفظ والمعنى على نحو ما نجد في تعليقه على قول ابن

ميادة(١١٥/١٩٨٢):

أمرتكَ يا رياح بأمر حزم فقلت: هشيمة من أهل نجد
هيتك عن رجال من قريش على محبوكة الأصلاب جرد
ووجداً ما وجدت على رياح وما أغنيت شيئاً غير وجدي

إذ يقول: «مما يستحسن أشاده من الشعر لصحة معناه، وجزالة لفظه وكثرة تردد ضربه من المعاني بين الناس، قول ابن ميادة لرياح بن عثمان» (المبرد، نفس المصدر/١: ٦٩، ٥٦، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٨١) فالذوق الادبي الرفيع الذي يتمتع به المبرد ساعده في الكشف عن القيم الجمالية التي تتجلى في النص الشعري لفظاً ومعنى.

وأحياناً نجده يعمل على تقويم افكار الشاعر(١: ٣٦، ١٥٨، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٣، ٢: ٥٠، ٨٩، ٩٣، ٣٠٠، ٣٠١) من ذلك ما جاء في شرحه لمرثية ابو سعيد اسحاق بن خلف يرثي ابنة أخته [التي أولها]:

امست أميمة معموراً بما الرجم لقي صعيد عليها الترب مرتكم

إذ يقول: «هذه المرثية ليست مما تقع من الجزع القراح والحزن المفرط ولكنه باب للمراثي يجمع إفراط الجزع، وحسن الاقتصاد، والميل الى التشكي، والركون الى التعزي، وقول من كان له واعظ من نفسه، او مُذكر من ربه، ومن غلبت عليه الجسارة، وكأن طبعه الى القساوة فقد اختلط كل بكل»(٢: ٢٨٠، ٢٨٨، ٣٠٨) ولم يتناول المبرد اوزان الشعر وموسيقاه باستثناء اشارات قليلة للضرورة الشعرية (١: ٥٧، ١٩٧، ٢: ٣٦)، ونقد بعض الشعراء لاستعمالهم الخاطئ لبعض الالفاظ (١: ٥٧، ٢: ٢٠٨).

ونجده يقف كثيراً عند المشاهدة بين نص وآخر وهذا يكشف عن حس نقدي متطور لأنه يتطلب ثقافة واسعة واطلاع على النصوص المرجعية للنص المدروس

وتجليات هذا النص في نصوص أخرى (تخريشي، ٥٦/٢٠٠٠) فهو يقف عند بيت أوس بن حجر (٥٤):

وأزدحمت حلقتنا البطآن بأقدِ وامٍ وطارت نفوسهم جزعاً

ليقول أن هذا البيت «يشاكل قول القائل:

فأن ألك مقتولاً فكن أنت قاتلي فبعض منايا القوم أكرم من بعض»

(المبرد، نفس المصدر/١: ٤٨، ٢٦، ٣٤، ٣٧، ٤٦، ٥٢، ٦٠-٦١، ٦٤-٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ١٠٢،

١١٤، ١١٩، ١٣٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٩٩، ٤١٧، ٤٨: ٢، ٥٣، ٩٥، ١١٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٨)

أن مثل هذه المقاربات التناسية «هي عمليات فنية يجأ إليها المبدع لتمير خطابها عن طريق الاستفادة من الشحنت المعرفية لتلك النصوص الابداعية المرجعية» (تخريشي، نفس المصدر/٦١) ويقف عندها الناقد ليكشفها وهذا ما فعله المبرد في كتابه عندما أشار الى المقاربات التناسية بين الشعراء فهو لم يرفضها بل يراها تحسناً حين تتم بطريقة إبداعية تعطي للشعر قيمة فنية لا يمكن الوصول إليها بدونه (المبرد، نفس المصدر/١: ٦٠-٦١، ٢: ١١٤-١١٥، ١١٨).

نتائج البحث

١- على الرغم من تأثير علماء العربية في عصور الجمع والتصنيف بعلماء الحديث لا سيما في أسناد المرويات الشعرية وتوثيق المتن المروي وضبطه ترى المبرد لم يلتزم بالاسناد في صدر مروياته، لكنه اعتنى بضبط النصوص الشعرية المروية في كتابه؛ لأنها الأساس الذي بُني عليه الكتاب لهذا نراه ينه على اختلاف الروايات ويعتمد على معايير علمية في إثبات الوجه الأصوب وأن تخففه من الاسناد قد يرجع الى صفة شخصية خاصة بالمبرد لا سيما أن هذه الصفة كآنت معروفة ومؤثرة عليه عند قرائه ومن جاء بعده الى جانب ذلك فهو من المؤسسين للمدونه النحوية الذين قلما اشاروا الى الاسناد.

٢- فالهدف من شرح الشعر عند المبرد هدف لغوي بالدرجة الاساس؛ اذ نراه يعتني بالتوجيهات النحوية وبيان الوجوه اللغوية وتفسير الغريب معتمداً في ذلك على علميته كأساس للشرح الى جانب ما تحمله ذخيرته العلمية من آراء قالمها العلماء

السابقين له؛ لأنّ هدف الشرح عنده تعليمي غايته تيسير الفهم للناشئين في عصره وتقديم مادة لغوية وإخبارية تساعدهم في التعليم والتثقيف.

٣- على الرغم من المنهج اللغوي المتبع في كتاب الكامل فهو لا يخلو من لفتات بلاغية ونقدية على قلة ورودها في الكتاب إلاّ أنها تشكل اضواءً فنية جميلة تبين الثقافة المتنوعة التي يمتلكها المبرد في تحديد الجوانب البلاغية في النص الشعري لا سيما التشبيه الذي أفرد له مجالاً واسعاً فهو لا يكتفي بالإشارة إلى النصوص الشعرية التي تضم هذا الفن، بل حاول بيان حده وأنواعه وميز بين التشبيه العجيب والحسن والمليح... الخ إلى جانب إشارات إلى الكناية والاستعارة والابتناء وإشاراً إلى جانب من علم المعاني.

وفي مجال النقد تتحدث وقاتته عند مشكلة السرقات والقديم والمحدث والموازنة بين الشعراء إلى جانب تقويمه لأفكار الشعراء وتحديده للمقاربات النصية.

المصادر والمراجع

- القران الكريم.
- ابو شوارب، محمد مصطفى، (٢٠٠٣م)، ابو علي القالي ومنهجه في رواية الشعر وتفسيره، دار الوفاء، الاسكندرية،
- تحريشي، محمد، (٢٠٠٠م)، ادوات النص، اتحاد الكتاب العرب.
- السيوطي، ابو بكر، (٢٠٠٤م)، بغية الوعاة، طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط ١.
- ابن جني، ابوالفتح، (١٩٩٠م)، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- الرقيات، ابن قيس، الديوان، تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت.
- الحميري، ابن مفرغ، (١٩٨٢م)، الديوان، تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح، بيروت، ط ٢.
- الاعشى الكبير، الديوان، (١٩٥٠م)، شرح وتعليق د. محمد حسين، المطبعة النموذجية.
- امرئ القيس، الديوان، (١٩٧٩م)، شرح ابو بكر البطليوسي، تحقيق ناصيف سليمان، العراق.
- حرير، الديوان، (١٩٦٩م). شرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمد امين طه، دار المعارف، مصر.

- ذو الرمة، الديوان، (١٩٧٢م)، شرح ابي نصر الباهلي، تحقيق عبد القدوس ابو صالح، دمشق، مطبعة طربين.
- سلامة بن جندل، (١٩٦٨م)، الديوان: تحقيق فخر الدين قباوة، حلب، ط١.
- الطائي، حاتم، ديوان شعر، صنعة يحيى بن مدرك الطائي ورواية هشام بن محمد الكلبي، تحقيق د. عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة.
- عباس، احسان، ديوان شعر الخوارج، (١٩٨٢م)، جمع وتحقيق د. احسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط٤.
- عمارة بن عقيل، ديوان، (١٩٧٣م)، جمع وتحقيق شاكر عاشور، مطبعة البصرة، ط١.
- عمر بن ابي ربيعة، الديوان، (١٩٦٦م)، دار بيروت للطباعة.
- علقمة الفحل، الديوان، (١٩٦٩م) شرح الاعلم الششمري، تحقيق لطفي الصقال ودربة الخطيب، مراجعة فخر الدين قباوة، دار الكتاب العربي حلب، ط١.
- القتال الكلاي، الديوان، (١٩٦١م)، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة.
- ليلى الاخيلية، الديوان ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- النابغة الجعدي، الديوان، (١٩٩٨م)، جمع وتحقيق د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١.
- النمر بن تولب، الديوان، تحقيق د. نوري حمودي القيسي. مطبعة المعارف. بغداد.
- السكري، ابو سعيد، شرح اشعار هذيل، تحقيق عبد الستار احمد فراج ومراجعة محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- الفرزدق، الديوان، (١٩٨٣م)، ضبط معانيه وشروحه ايليا الحاوي، منشورات دار الكتب اللبناي- بيروت، ط١.
- نوري، حمودي القيسي، (١٩٨٢م)، شعراء امويون، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- ابن ميادة، (١٩٨٢م)، شعر ابن ميادة جمع وتحقيق د. حنا جميل حداد، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- نايف الدليمي، محمد، (١٩٨٨م)، شعر ابي الطمحان القسيني، جمع شعره ، مجلة المورد، مج ١٧، ٣٤.
- الراعي النميري، (١٩٨٠م)، شعر الراعي النميري دراسة وتحقيق د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- عبد الله بن معاوية، (١٩٧٦م)، شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب، جمعه عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.
- عبدة بن الطبيب، (١٩٧٣م)، شعر عبدة بن الطبيب، جمع وتحقيق، يحيى الجبوري، بيروت: ط١/

- مختار عمر، أحمد، (١٩٨٢م)، علم الدلالة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، مكتبة دار العروبة، الكويت.
- المبرد، ابو العباس (٢٠٣م)، الكامل في اللغة والادب، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط٢.
- ابن منظور، (٢٠٣م)، لسان العرب، تحقيق عامر احمد حيدر، راجعه عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط٢.
- الحموي، ياقوت، (١٩٩١م)، معجم الادباء او ارشاد الأريب الى معرفة الاديب، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- ابن الصلاح، (١٩٨٩م)، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر.
- ابن خلكان، (١٩٩٨م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق د. يوسف علي الطويل ود. مريع قاسم الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط١.

روش مبرد در روایت و شرح شعر

شیماء خیری فاهم^۱

چکیده

مبرد در کتاب خود (الکامل) به شعر اهمیت فراوانی می‌دهد. روایت شعر و اسناد آن نزد او از اهمیت فراوانی برخوردار است. او بر این باور است که کاستی و فزونی و اختلاف در روایت شعر تأثیر فراوانی بر معنی آن دارد. نویسنده در کتاب خود به متون شعری، به ویژه تحلیل‌های زبان شناختی آن توجه بیشتری دارد و تنها رویکردی زبان شناسانه به شعر نداشته بلکه رویکرد زیبایی شناسانه و نقدی را مورد توجه قرار داده که این رویکردها خود اشاره به دانش فراگیر علمای قدیم و نیز هدف آموزشی‌ای دارد که کتاب برای آن نگارش یافته است. زیرا کتاب در زمانی تألیف شد که لحن در زبان وارد شد بود و زبان را رو به ضعف کشانده بود، و سپس در زمان مؤلف زبان به عنوان علمی جدید مطرح شد در حالی که قبل از آن زبان به گونه‌ای فطری در بین مردم رواج داشت.

واژگان کلیدی: مبرد، روایت شعر، روش، الکامل فی اللغة و الأدب.

۱. استاد گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه قادیسیه عراق

